

الضرورة الشعرية بين الحقيقة والافتعال الفرزدق أنموذجا

المدرس الدكتور

حسين عبد حسين حمزة الوطيفي

جامعة الكوفة/ كلية الآداب

الضرورة الشعرية بين الحقيقة والافتعال - الفرزدق أنموذجا

المدرس الدكتور

حسين عبد حسين حمزة الوطيفي

جامعة الكوفة/ كلية الآداب

تعد اللغة وسيلة التعبير الرئيسية لدى الشاعر، يتوخى بوساطتها نقل انفعالاته وأحاسيسه ومشاعره إلى الآخرين، والتأثير فيهم.

وعلى الرغم من أن اللغة ظاهرة اجتماعية، ومادة عامة يستعملها الناس في تعاملهم الحياتي، وتواصلهم البشري، إلا أنها تتخذ لدى الشاعر خصوصية متميزة ((فـاللغة عنده ليست وسيلة لسواها بل هي غايته التي يروم نقلها في الجمل والكلمات))^(١)، لذا وجدنا الشعراء يمتازون بعضهم من بعض، وإن كانت الأغراض التي تناولوها - في الغالب - تكاد تكون واحدة، إلا أن طريقة العرض متباينة، تبعا لثقافة الشاعر، وذخيرته اللغوية، إذ إن ((مهمة الأديب الناجح أن يعمل على تحطيم الارتباطات العامة للألفاظ، تلك الارتباطات التي يخلقها المجتمع، وأن يخرج عن السياق المألوف إلى سياق لغوي مليء بالإحياءات الجديدة))^(٢)، التي تتأثر بشكل كبير بنفسية الشاعر، وبينته المحيطة به ((فالشعر هو قبل كل شيء تعامل خاص مع اللغة في مفرداتها وتراكيبها))^(٣) اللغوية المختلفة.

وهكذا كان للشاعر لغته الخاصة التي تميزه من لغة الناثر، لغة تتيح له الخروج على ما تواضع عليه اللغويون والنحويون من قواعد ومعايير وضعوها استنادا إلى ما وجدوه عند شعراء العربية، الذين يستشهد بشعرهم، ويحتج بعربيتهم، وحاولوا احاطته بها، وجعل نشاطه الشعري ضمن إطارها، متناسين أن الشاعر لما كان ((يود الإبانة عن داخله الانفعالي، ورؤاه الوجودية الخاصة، فلا مناص أمامه إلا أن يحدث هدمًا في منطق اللغة، ليقوم من جديد ببناء جديد له نسقه وتركيبه اللغوي الخاص))^(٤)، المنسجم مع تجربته الإبداعية.

فضلا عن أن تلك القواعد والمعايير قامت على استقراء ناقص للغة؛ ذلك أن اللغة واسعة وفي تطور مستمر، ولا يمكن الاحاطة بها، من هنا وجد اللغويون والنحويون أنفسهم أمام أبيات تخالف ما هو متعارف عليه لغويا، وما هو مسموع في مجتمعهم اللغوي، فما كان منهم إلا السعي إلى محاولة تخريج تلك الأبيات وتأويلها^(٥)، وتسويغ مخالقات الشعراء؛ لأنهم ((كانوا ينظرون إلى الشعراء الذين يعتد برواية شعرهم نظرة تقترب من التقديس ولا يجوز أن يتصور صدور الخطأ عن أحد من أولئك الشعراء، فكل ما يقولونه حجة))^(٦)، حتى إذا ما أعجزهم ذلك قالوا بالجواز والإباحة والضرورة.

فالضرورة الشعرية هي ((التي وقعت في الشعر مما لا يجوز وقوعه في

النثر))^(٧)، بمعنى أن القدامى أدركوا أن للبناء الشعري خصوصيته، وأركانها التي لا يمكن أن يقوم الشعر من دونهما، وهما الوزن والقافية، إذ لا يسمى الشعر شعرا حتى يكون له وزن وقافية^(٨)، على الشاعر أن يلتزم بهما لتتم له صناعة الشعر، بوصفهما قبيدين من قيود هذه الصناعة، وهو ما أشار إليه ابن سلام بقوله ((والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر، والشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي، والمتكلم مطلق يتخير الكلام))^(٩)، كيفما شاء.

وهو ما حثّ الشعراء على الضرورة بسبب ((المضايق التي يدفعون إليها عند حصرة المعاني الكثيرة في بيوت ضيقة المساحة، والإحراج الذي يلحقهم عند إقامة القوافي التي لا محيد لهم عند تنسيق الحروف المتشابهة في أواخرها، فلا بد من أن يدفعهم استيفاء حقوق الصنعة إلى عسف اللغة بفنون الحيلة))^(١٠)؛ لتستقيم لهم المعاني الكامنة في نفوسهم، والمنسجمة مع تجربتهم الإبداعية.

لقد تباينت آراء النقاد حول الضرورة الشعرية بين مجيز ومانع^(١١)، على أن الرأي السائد لديهم ((أن الشعر لما كان كلاما موزونا يخرج الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، أجازت العرب فيه ما لا يجوز في الكلام، اضطروا إلى ذلك أو لم يضطروا إليه، لأنه موضع الفت فيه الضرائر))^(١٢)؛ ذلك أن الشاعر ((لم ينظم شعره و غرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول، أو ما جرى مجراهما، وإنما غرضه إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن))^(١٣)، الذي يعبر عن مشاعره وأحاسيسه، والحال النفسية التي تعتريه لحظة إبداعه الفني، ويثير المتلقي، ويؤثر فيه.

على أن ليس هناك مانع يحول دون إيراد اللفظ الحسن مطابقا للمعنى الحسن، مع الحفاظ على سلامة اللغة والنحو، بمعنى أن الشاعر لم يكن مضطرا دائما إلى استعمال الضرائر الشعرية، وإنما كان - في الغالب - قاصدا إليها قصدا، فهو قادر على إبقاء حركة المرفوع أو المنصوب كما هي، بل قادر على إبدال اللفظة بأخرى تناسب القواعد النحوية واللغوية، لكنه يأبى ذلك.

وهو أمر لا ينطبق على الشعراء كلهم، وليس في إمكان كل من يتعاطى قرض الشعر، وإنما يختلف من شاعر إلى آخر، بحسب ثقافته، وذخيرته اللغوية، وسيطرته على اللغة، وتملكه لزمان شعره واقتداره عليه.

فكان الفرزدق أحد الشعراء الذين وردت في أشعارهم الضرائر الشعرية^(١٤)، التي لم يسلم منها شعراء العصور المختلفة، ولا سيما الجاهليين منهم، الذين اتجهت عناية الفرزدق إلى أشعارهم، بوصفها جزءا من ثقافته، وخبرته الفنية، التي تزود بها من خلال الإطلاع على الشعر القديم، وروايته، وحفظه؛ لما يتمتع به من السمات والمؤهلات التي هيأت له الرسوخ والاستمرار عبر العصور، فهو ((القمة الشامخة التي وصل إليها الشعر في جودة أسلوبه، وحسن صياغته، وجمال معانيه، وسلامة

لغته^(١٥)، مما جعله قدوة للشعراء الأمويين يرغبون في احتذائه، ومجارة القدماء فيه، فهو موجه داخلي لهم في نصوصهم الشعرية، ولا سيما الفحول منهم أمثال جرير والأخطل، الذين أخذت أشعارهم طريقها إلى البلاط الأموي.

على أن الفرزدق يتميز من سواه من الشعراء الأمويين بأنه قد عاصر بعض شعراء الجاهلية وروى أشعارهم بلا واسطة، فقد كان الفرزدق راوية لشعر امرئ القيس وأخباره^(١٦)، فضلا عن أنه قد لقي الحطيئة بالمدينة في خلافة معاوية^(١٧)، ومن ثم فليس بمستبعد أن يكون قد سمع منه شعره، مثلما سمع من بعض الشعراء المخضرمين أشعارهم أمثال المخبل السعدي والنابغة الجعدي وغيرهم^(١٨)، ممن ورد ذكرهم في شعره، كما في قوله:

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي التَّوَابِعُ إِذْ مَضَوْا	وَأَبُو يَزِيدٍ وَذُو الْقُرُوجِ وَجَرُولُ
وَالْفَحْلُ عُلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ	حُلُّ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ
أَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهَنْ قَتَلَنَاهُ	وَمُهَلِّهِلُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ
وَالْأَعَشِيَانِ كِلَاهُمَا وَمُزْقَشُ	وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتِمِّتُ
وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ عَبِيدُ إِذْ مَضَى	وَأَبُو دُوَادٍ قَوْلُهُ يُنْتَحِلُ
وَابْنَا أَبِي سُلْمَى زُهَيْرٌ وَابْنُهُ	وَابْنُ الْفَرِيعَةِ حِينَ جَدَّ الْمَقُولُ
وَالْجَعْفَرِيُّ وَكَانَ بِيْشَرَ قَبْلَهُ	لِي مِنْ قَصَائِدِهِ الْكِتَابُ الْمُجْمَلُ
وَلَقَدْ وَرَثْتُ لَأَلْ أَوْسَ مَنْطَقًا	كَالسَّمِّ خَالِطَ جَانِبِيهِ الْحَنْظَلُ
وَالْحَارِثِيُّ أَخُو الْحِمَاسِ وَرَثَتُهُ	صَدْعًا كَمَا صَدَعَ الصَّفَاةَ الْمِعْوَلُ ^(١٩)

إن الإطلاع على أسماء هؤلاء الشعراء الذين ذكرهم، وورث الشعر منهم، يشي بمدى جدية الفرزدق وسعيه الدائب للارتقاء بموهبته الشعرية، وصقل ذائقته الفنية، واغناء لغته، فقد اطلع على دواوين فحول الشعر العربي، وعاصر بعضهم، وهم الذين يمثلون صفوة الشعر وأنقاه، وقمة الأسلوب وجزالته، وجمال المعنى وحلاوته، فلم يتركوا شاردة أو واردة من اللغة إلا وأثبتوها في أشعارهم أو غرضا من الأغراض إلا وأبدعوا فيه وأجادوا، فانسابت إليه تلك الامكانات، وتشرب بها، وتزود من معطياتها.

ولعل في قوله: (وهب القصائد لي)، (ولقد ورثت) ما يوحي برغبته الملحة في مجاراتهم، والارتقاء إلى مصافهم، وحيازة قصب السبق منهم، وبزّ أقرانه، من خلال الاستحواذ على مصادر الشعر وينايبه الثرة، التي هيأت له مكانة متميزة بين شعراء عصره.

ولكن الفرزدق لا يكتفي بهذا القدر من التفوق، فراح يجاهر بامكاناته الشعرية، وقدراته الفنية التي تفوق امكانات وقدرات من نهل منهم، واستقى شعره من ينايبهم، فيقول:

سَأَجْزِيكَ مَعْرُوفَ الَّذِي نِلْتَنِي بِهِ بِكَفِّكَ فَاسْمَعْ شِعْرَ مَنْ قَدْ تَنَخَّلَا
قِصَائِدَ لَمْ يَقْدِرْ زُهَيْرٌ وَلَا ابْنُهُ عَلَيْهَا وَلَا مَنْ حَوْلُوهُ الْمُخْبَلَا
وَلَمْ يَسْتَطِعْ نَسْجَ امْرِئِ الْقَيْسِ مِثْلَهَا وَأَعْيَتْ مَرَاقِيهَا لِبَيْدٍ وَجَرُولَا
وَنَابِغَتِي قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ وَالَّذِي أَرَاهُ الْمَنَايَا بَعْضَ مَا كَانَ قَوْلَا^(٢٠)

فهؤلاء الشعراء الذين كانوا مصدرا من مصادر ثقافته، وأساتذة تتلمذ على أيديهم - من خلال الأشعار التي ورثها منهم، وأحاط بها علما ومعرفة، وعكف عليها حفظا وتمثلا، حتى تفتقت قريحته الشعرية - قد غدوا ميدانا لإبراز قدرته الشعرية، وامكاناته الفنية، من خلال المقارنة معهم، والتفوق عليهم في ميدان الشعر.

هذه المقارنة مع الشعراء الجاهليين، ووراثه الشعر منهم، جعلته مشدودا إلى التفاصيل الفنية الجاهلية، والسعي الحثيث إلى إثباتها في شعره والمحافظة عليها، ومنها الضرائر الشعرية التي نظر إليها الفرزدق بوصفها رخصا منحت للشعراء الجاهليين، وأجيزت لهم، فأخذوا بها، واستعملوها في أشعارهم^(٢١)، اضطروا إلى ذلك أم لم يضطروا إليه، ومن ثم فإن هو أخذ بها، ووردت في شعره، فهو مأذون له من أسلافه الذين تتبع خطاهم، وسلك سبيلهم، وسار على منهجهم، واحتذى شعرهم، كما في قوله:

وَعَصُ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِينَ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجَلَّفًا^(٢٢)

لكن الذي حدث أن أحد النقاد وهو عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) قد خطأ الفرزدق في قوله، وأخذ عليه رفع (مُجَلَّفًا)؛ ذلك أن أصل القول أن يكون (مُجَلَّفًا) بالنصب، عطفًا على (مُسَحَّتًا)، لكن الفرزدق أثبتها بالرفع، فقال له ابن أبي اسحاق: بم رفعت أو مجلف؟ فقال الفرزدق: بما يسوؤك وينوؤك، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا^(٢٣).

فالملاحظ أن الشاعر في جوابه قد ظهر بمظهر المعتد بنفسه، الذي لا يأبه بكلام اللغويين والنحاة، في بعض ما يقرضه من الشعر؛ لأنه - كما يرى - يمارس حقا من حقوقه التي أقرها له القدماء.

إن ((الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم، من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، ومد المقصور وقصر الممدود، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقربون البعيد، ويبعدون القريب، ويحتج بهم ولا يحتج عليهم))^(٢٤)، فيما يقولون، ومن ثم فلا يحق للحضرمي أن يخطئه في قوله، بل كان الأولى به أن يسوغ له هذا القول، لكنه لم يفعل ذلك، وإنما راح يتصيد مواطن الخطأ في شعره، ومحاولة إبرازها، كما في قوله

الذي مدح به يزيد بن عبد الملك:

مُسْتَقْبَلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا
عَلَى عَمَائِمِنَا يُلْقَى وَأَرْحُلُنَا
بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْفُطْنِ مَنُثُورِ
عَلَى زَوَاحِفٍ تُرْجَى مَحْهَا رِيرِ^(٢٥)

فقال له عبد الله بن أبي اسحاق : ((أسأت، إنما هي ريرُ (بالرفع)، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع))^(٢٦)، فلما سَمِعَ الفرزدق بذلك قال: ((أما وجد هذا المنتفخ الخصبين لبيتي مخرجا في العربية؟ أما إنني لو أشاء لقلت: على زواحف تُرْجِيهَا مَحَاسِيرُ، ولكنني والله لا أقوله))^(٢٧)، مما يعني أن الفرزدق لم يكن مضطرا إلى استعمال هذه الضرورة الشعرية، بتأثير الوزن أو القافية، وإنما هو قد قصد إلى ذلك وتعمد افتعالها، هذا التعمد يبدو واضحا في قوله: (أما وجد... لبيتي مخرجا في العربية)، وكأنه يريد من الحصري أن يتأول هذه الأبيات بما يتفق والقواعد النحوية واللغوية، وتسويغ خروجه على تلك القواعد، كما كان يفعل اللغويون والنحاة مع الشعراء القدماء، لما قرَّ في نفسه من أن لغة الشاعر الأموي هي لغة مكتسبة بالفطرة والسليقة، ومن ثم فهي تمثل لغة الحياة اليومية التي تسود المجتمع، ولغة الإبداع الفني للشاعر في الوقت نفسه، أي أن هناك لغة واحدة مشتركة يتكلمون بها، ويكتبون إبداعاتهم الفنية بوساطتها، وهي امتداد طبيعي للغة الشعر الجاهلي أيضا؛ لأنهم قد ألفوا هذه اللغة وتمرسوا بها، وكثرت مدارسهم لألفاظها وتراكيبها، بوصفها مصدر ثقافتهم الذي عكفوا عليه.

هذا الامتداد أكده اللغويون والنحاة من خلال مواقفهم من الشعر الأموي والإشادة به^(٢٨)، والاعتراف بقيمته اللغوية ورسائله اللفظية، ومساواته بالشعر الجاهلي من حيث الاستشهاد والاحتجاج، إلا أن مواقفهم تلك قد أصابها اضطراب^(٢٩)؛ لأنهم كانوا يرون أن اللغة العربية هي لغة صحراوية، تزهو في البداوة، وتنشط عند الأعراب، بعيدا عن الاستقرار، الذي يقود إلى تسرب اللحن والفساد اللغوي.

ومع أن الفرزدق قد عاش في الحضر، إلا أن تلك البيئة الحضرية (البصرة) قد بقيت محافظة على نمط معيشة وثقافة شبيهة إلى حد كبير بما كان سائدا في الجاهلية؛ وذلك لـ ((انعزالها وقلة اختلاط أهلها بالعناصر الأجنبية، وضالة التأثيرات الحضارية التي كانت تتسرب إليها من مدن الحجاز والعراق والشام))^(٣٠)، مما يعني أن تلك البيئة كانت أكثر التصاقا بالبيئة البدوية، ولم تستطع أن تنشئ لها لغة حضرية في هذا العصر؛ لأنها بقيت خاضعة للغة الصحراء، وهي لغة الشعر الجاهلي، ومن ثم فلم تكن عصرئذ بؤادر لاستبدال تلك اللغة، بلغة أخرى، وهو ما أكده أبو عمرو بن العلاء بقوله: ((لم أرَ بدويا أقام في الحضر إلا فسد لسانه، غير رؤية والفرزدق))^(٣١)، من هنا هاجم الفرزدق الحصري وهجاه بقوله:

قَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلَكِنْ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا^(٣٢)

إن الشاعر خرج في هجائه - متعمدا - على قواعد النحو المألوفة، فقد أثبت حرف العلة (الياء) في (موالي) عند الجر، والأصل أن تحذف تلك الياء (موال)، وما ذاك إلا ليغيظ الحضرمي، ويحط من شأنه، ويُشعره بمكانته التي لا تنسجم ومكانة الفرزدق، الشاعر العربي الأصيل، الذي اكتسب لغة سليمة نقية فطر عليها، وامتلك ناصيتها، وغدا سيداً من ساداتها^(٣٣)، متحدياً علماء اللغة والأدب، الذين كانوا يتصيدون أخطاء الشعراء، انطلاقاً من قواعد وأصول مقررة، وأعراف ثابتة تهدف - كما يقولون - إلى حفظ اللغة، ومن ثم فهم يريدون من الشاعر أن يتقيد بها، وأن يلتزم منها واحداً لا يحيد عنه، متناسين أن ((هذه الأعراف لم تعد في خدمة الأغراض التي يسعى إليها))^(٣٤)، ويبذل أقصى طاقاته في سبيل إدراكها.

وهكذا تملل الفرزدق من اللغويين والنحاة - بعد اعتراضهم على استعماله للغة - ورفض مواقفهم، كما رفض أسلافه من قبل ذلك^(٣٥)، وأباح لنفسه أن يسلك في لغته ما سلكوا، وأن تتاح له حرية التصرف بألفاظها وتراكيبها، كما أتاحت لمن سبقه من الشعراء، الذين خرجوا على قواعد اللغة وقوانينها، فوجدوا من يتأول لهم ذلك الخروج ويبيحه لهم؛ ذلك أن علماء اللغة لم ((يكونوا يتصورون أن يخطئ شاعر في هذه اللغة؛ لأنه يتكلمها بالسليقة في نظرهم، فإذا وجدوا في شعر شاعر خروجاً عن المألوف في القواعد، راحوا يلتمسون له المعاذير والحيل، ويتكلفون في التأويل والتخريج))^(٣٦)، والأسباب التي تتيح له تلك المخالفات، وهو ما أراده الفرزدق من عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي في رده عليه.

ويبدو أن الفرزدق قد كبر عليه أن يخطأ، ويوجه إليه النقد من قبل أحد الموال^(٣٧)، الذين تعلموا اللغة العربية، واكتسبوا اكتساباً، ولم يألفوها فطرة وسليقة، كما هو شأنه، ومن ثم فهو لا يعترف للحضرمي بمعرفة العربية وإتقانها، إتقان العرب الأصلاء لها، مما يؤهله للوقوف بوجهه، ورميه باللحن، وكأنه يعيد بذلك إلى الأذهان ذلك الصراع المحتدم بين العرب والموالي حول اللغة ومعرفتها؛ ذلك أن العرب قد ربطوا بين اللغة والجنس ((أي أنه لا يتصور أن يسيطر على اللغة العربية ويتقنها غير العربي، كما أنه لا يمكن أن يتقنها إتقان العربي لها))^(٣٨)، وهو - فيما يبدو - ما جعل الحضرمي ((يبحث جاهداً في لغة معاصريه ومن سبقهم من الشعراء الأقدمين، عن أخطاء وزلات لغوية؛ ليتناولها بالنقد والتصحيح، ويتخذ من ذلك دليلاً على أن غير العربي يستطيع إتقان اللغة، والاحاطة باستعمالاتها))^(٣٩)، وتخطئة من يخرج على أصولها وقواعدها، حتى لو كان شاعراً مجيداً كالفرزدق.

ومهما يكن من أمر فإن الفرزدق قد سعى من وراء افتعال هذه الضرائر الشعرية إلى إبراز قدراته الفنية، ولفت الأنظار إلى إمكاناته اللغوية التي تتيح له حرية استعمال الألفاظ كيفما شاء، فهو شاعر فحل تربي في أحضان اللغة البدوية، فأحسنها وأتقنها، وأراد التصرف بها كما يحب، وتسخيرها كما يشتهي، كما في قوله الذي مدح

به إبراهيم بن إسماعيل بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ^(٤٠)

الذي قيل عنه إنه: ((من أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني، ...، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه (وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا الملك أبو هذا الممدوح)، فدل على أنه خاله))^(٤١). وكذلك قوله:

وَلَوْ أَنَّ أُمَّ النَّاسِ حَوَّاءَ حَارَبَتْ تَمِيمَ بْنَ مَرْثٍ لَمْ تَجِدْ مَنْ يُجِيرُهَا^(٤٢)
فالشاعر أراد أن يقول: ولو أن تميم بن مر حاربت حواء أم الناس جميعا، لم تجد حواء من يجبرها.

وقوله في مدح الوليد بن عبد الملك:

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كُتَيْبٍ تُصَاهِرُهُ^(٤٣)

فهو يريد أن يقول: ((إلى ملك أبوه، ما أمه من محارب))، أي أن أمه ليست من بني محارب. لكنه قد قدم وآخر في الألفاظ، وتلاعب بالتركيب، حتى غدا فهم المعنى واستخرجه أمر صعب يحتاج إلى اجالة الفكر، والتدبر للوصول إلى المعنى الذي يريده. وهنا لابد من أن نتساءل، هل أن الفرزدق كان مضطرا فعلا إلى هذا اللون من الاستعمال؟ أم أنه قد تعمد ذلك.

مما لا شك فيه أن الفرزدق شاعر متمكن من لغته، وصاحب خبرة ودراية في استعمالها وتوظيفها في شعره، ومن ثم فانه قاصد إلى هذا الاستعمال وحريص عليه؛ لأنه يريد إبراز مكانته الشعرية من بين أقرانه والتأثير في متلقي عصره من الخلفاء^(٤٤)، وعلماء اللغة والنحو^(٤٥)، الذين كانت نفوسهم وأذواقهم ما تزال منقادة إلى المد اللغوي الجاهلي، تهفو إليه، وتحرص على سماعه، فيثير إعجابهم ويبههرهم؛ ذلك أن كثيرا ((من النحويين لا يميلون من الشعر إلا إلى ما فيه إعراب مستغرب، ومعنى مستصعب))^(٤٦)، لا يمكن التوصل إليه من الوهلة الأولى.

أي أنه أراد من وراء هذه الضرائر الشعرية، أن يظهر انتماءه إلى العصر الجاهلي - عصر الفصاحة والبيان، والأصالة اللغوية - لغة، وفناء، ومعاصرة. وتمكنه السليقي في بناء شعره، وببطء تحوله عن النمط القديم والمحافظة عليه وثباته في نفسه^(٤٧)، وامتلاكه لغة نقية لم تختلط بعد بغيرها من اللغات، ليتسرب إليها اللحن والفساد.

فضلا عن أن أبياته الشعرية إنما جاءت - في الغالب - في مديح خلفاء بني أمية الذين ظلت أذواقهم تنوق إلى شعر ما قبل الإسلام، فكان أن شجعوا الشعراء على أن يمدحواهم بالأسلوب القديم، الملتزم بالإطار العام للقصيدة الجاهلية، شكلا ومضمونا، وهو ما حرص عليه الفرزدق في شعره.

هوامش البحث:

- (١) التركيب اللغوي للأدب: ٦٠.
- (٢) قضايا النقد الأدبي والبلاغة: ١٩.
- (٣) الشعر المعاصر في اليمن: ٢٤١.
- (٤) دراسة في لغة الشعر: ١٥.
- (٥) ظ: فصول في فقه العربية: ١٦٧-١٨٨، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ١٨٧.
- (٦) نحو التيسير: ٥٠.
- (٧) العروض والقافية: ١٠٨.
- (٨) ظ: العمدة: ١٥١/١.
- (٩) طبقات فحول الشعراء: ٥٦/١.
- (١٠) التنبيه على حدوث التصحيف: ١٥٧-١٥٨.
- (١١) ظ: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ١٥٥-١٧١.
- (١٢) ضرائر الشعر: ٧.
- (١٣) المثل السائر: ٥٥/١.
- (١٤) ظ: ضرائر الشعر: ٢٣-٢٤، ٦٠، ١٥٧-١٥٨، ١٩٩، ٢٢٣-٢٢٤.
- (١٥) من قضايا الأدب الجاهلي: ٥.
- (١٦) ظ: الشعر والشعراء: ٦٤/١، حلية المحاضرة: ٣٢٧/١.
- (١٧) ظ: طبقات فحول الشعراء: ٣٢١/٢.
- (١٨) ظ: الفرزدق بين المهلهل والمنتبى (بحث): ١١.
- (١٩) ديوان الفرزدق: ٤٩٣-٤٩٤، أبو يزيد: المخبل السعدي، أخو بني قيس: طرفة بن العبد، الأعشيان: أعشى قيس وأعشى باهلة، أخو قضاة: الطمحان القيني، الجعفري: لبيد بن ربيعة، بشر: بشر بن أبي خازم، الحارثي: النجاشي.
- (٢٠) م: ٤٧٨-٤٧٩، النابغتان: النابغة الذبياني والنابغة الجعدي، الذي أراه المنايا: طرفة بن العبد، وظ: ٣٣٤.
- (٢١) ظ: ديوان امرئ القيس: ٢٠، ديوان النابغة الذبياني: ١٤٣-١٤٧، ديوان الأعشى الكبير: ٤٥.
- (٢٢) ديوان الفرزدق: ٣٨٦، وجاءت رواية الديوان (مجرف)، المسحت: المال المتلف، مجلف أو مجرف: الذي بقي منه بقية.
- (٢٣) يقول أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ): لا أعرف للرفع وجهاً، وكذلك يونس بن حبيب، فقلت ليونس: لعل الفرزدق قالها على النصب، ولم بأبه؟ قال: لا، كان ينشدها على الرفع، وأنشدنيها روبة بن العجاج على الرفع. ظ: طبقات فحول الشعراء: ٢١/١، الموشح: ١٣١.
- (٢٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٤٣-١٤٤.
- (٢٥) ديوان الفرزدق: ١٩٠، وجاءت رواية الديوان (نزجيه محاسير)، الحاصب: الريح الشديدة، الزواحف: الإبل التي أعتت من السفر، أزجى الدابة: ساقها، مخها رير: أي أجهد السير الدابة حتى أنصاها الهزال، فدق عظمها، ورق جلدها، وذاب مخ عظمها.
- (٢٦) يقول يونس بن حبيب (ت ١٢٨هـ): الذي قاله الفرزدق حسن جانز، فلما ألحوا عليه قال: (على زواحف نزجيه محاسير)، ثم ترك الناس ذلك ورجعوا إلى قوله الأول. ظ: طبقات فحول الشعراء: ١٧/١، الموشح: ١٢٧.
- (٢٧) خزانة الأدب: ٢٣٩/١.
- (٢٨) يقول أبو عمرو بن العلاء: (لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبيانا بروايته، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق)). العمدة: ٩٠/١، وقوله: (لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوماً واحداً ما قدمت عليه أهد)، ويسايره في هذا الرأي الأصمعي (ت ٢١٦هـ) الذي يقول في شعر جرير والفرزدق والأخطل: ((هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون)). فحول الشعراء: ٢٤.
- (٢٩) على الرغم من تحديد عصر الاستشهاد باللغة، نجد أن علماء اللغة قد رفضوا الاستشهاد بشعر بعض الشعراء، وعدوهم غير حجة في ما يقولون، مع أنهم قد مثلوا عصر الاحتجاج اللغوي. ظ:

الضرورة الشعرية بين الحقيقة والافتعال م. د. حسين عبد حسين حمزة

- الموشح: ٢٢٧، ٢٤٤. ولم يكن لعلماء اللغة من عذر في ما ذهبوا إليه، سوى أن هؤلاء الشعراء قد عاشوا في الحضر، فضلا عن أنهم قد عاصروهم وسمعوا منهم الشعر، وهو ما لا يرتضيه اللغويون والنحاة الذين انبهروا بشعر القدماء وتعصبوا له كثيرا، وأحاطوه بهالة من القدسية التي لا يجوز تجاوزها، يقول الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: ((جلست إليه ثمانتي حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي)). العمدة: ٩٠/١.
- (٣٠) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية: ٤٣١.
- (٣١) خزانة الأدب: ٢٢٠/١.
- (٣٢) طبقات فحول الشعراء: ١٨/١، الموشح: ١٢٨-١٢٩، ضرائر الشعر: ٣١.
- (٣٣) يقول يونس بن حبيب: ((لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة)). البيان والتبيين: ٢٥٦/١.
- (٣٤) ظ: الضرورة الشعرية: ٩٨.
- (٣٥) يقول عمار الكلبي بعد أن عيب عليه بيت من شعره:

ما إذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرا يكون بها	بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنيت وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرصوا بين عبد الله من حمق	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طبعوا
ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضي أرض لا تشب بها	نار المجوس ولا تبنى بها البيع

- ظ: الخصائص: ٢٣٩-٢٤٠ / ١.
- (٣٦) فصول في فقه العربية: ١٤٢، وظ: القافية والأصوات اللغوية: ١٣٠-١٣١.
- (٣٧) كان عبد الله بن أبي اسحاق مولى الحضرميين، الذين كانوا موالى بني عبد شمس بن عبد مناف. ظ: طبقات فحول الشعراء: ١٨/١، خزانة الأدب: ٢٣٦/١.
- (٣٨) فصول في فقه العربية: ٩٥.
- (٣٩) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ١٠٧.
- (٤٠) ظ: طبقات فحول الشعراء: ٣٦٥/٢، الموشح: ١٣٣، ضرائر الشعر: ١٦٧.
- (٤١) الموشح: ١٣٢.
- (٤٢) ظ: م. ن: ١٣٣. تميم بن مر: هو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ظ: جمهرة أنساب العرب: ٢٠٦، ٤٦٦.
- (٤٣) ظ: طبقات فحول الشعراء: ٣٦٧/٢. محارب: هو محارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان بنو محارب من أدل قبائل قيس بالبادية. ظ: جمهرة أنساب العرب: ٢٥٩.
- (٤٤) ظ: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام: ٣٢١.
- (٤٥) ظ: أخبار النحويين البصريين: ٢١.
- (٤٦) محاضرات الأدباء: ٥٦/١.
- (٤٧) ظ: رأي مفهوم المرحلة الفنية، دراسة في شعر الفرزدق: ١٢٠-١٢٣.

قائمة المصادر والمراجع

- أخبار النحويين البصريين، السيرافي (أبو سعيد)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام - القاهرة، ١٩٨٥م.
- البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والأستطيقا، د. لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٧٠م.

الضرورة الشعرية بين الحقيقة والافتعال م. د. حسين عبد حسين حمزة

- التنبيه على حدوث التصحيف، الأصفهاني (أبو عبد الله حمزة بن الحسن ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٩٦٧م.
- جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ)، عبد السلام محمد هارون، ذخائر العرب، دار المعارف - مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٢م.
- حليلة المحاضرة في صناعة الشعر، الحاتمي (أبو علي محمد بن الحسن ت ٣٨٨هـ)، تحقيق: د. جعفر الكتالي، دار الرشيد - بغداد، ١٩٧٩م.
- الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي (عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٢، ١٩٧٩م.
- الخصائص، ابن جني (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
- دراسة في لغة الشعر، رؤية نقدية، د. رجاء عيد، دار المعارف - الإسكندرية، (د.ت).
- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب - الجماميز، المطبعة النموذجية، (د.ت).
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، ط ٤، ١٩٨٤م.
- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٩٨٥م.
- رأي مفهوم المرحلة الفنية، دراسة في شعر الفرزدق، د. علي كاظم أسد، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العدد الأول، السنة الأولى، دار مطابع الأندلس - النجف، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، د. حسن عطوان، دار الجيل - بيروت، مكتبة المحتسب - عمان، ط ١، ١٩٧٤م.
- الشعر المعاصر في اليمن، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة - بيروت، ١٩٨٥م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف مصر، ١٩٨٢م.
- ضرائر الشعر، الأشبيلي (أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي، المعروف بابن عصفور ت ٦٦٣هـ)، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الضرورة الشعرية، دراسة أسلوبيية، السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر - لبنان، ط ١، ١٩٧٩م.
- طبقات فحول الشعراء، الجمحي (محمد ابن سلام ت ٢٣١هـ)، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، مطبعة المدني - مصر، (د.ت).
- العروض والقافية (دراسة نقدية)، د. عبد الرحمن السيد، ط ١، (د.ت).
- العمد في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الفيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للتوزيع والنشر والطباعة - لبنان، ط ٤، ١٩٧٢م.
- فحولة الشعراء، الأصمعي (أبو سعيد) شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، طه محمد الزيني، المطبعة المنيرية بالأزهر - القاهرة، ط ١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- الفرزدق بين المهلهل والمنتبى، د. مصطفى عبد اللطيف جياووك، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العدد الأول، السنة الأولى، دار ومطابع الأندلس ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٦، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- القافية والأصوات اللغوية، محمد عوني، مصر، ١٩٧٧م.
- قضايا النقد الأدبي والبلاغة، د. محمد زكي عثماوي، دار الكتاب - دمشق، ١٩٧٩.
- المثل السائر في أدب الكاتيب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار النهضة، الفجالة - القاهرة، ط ١، ١٣٧٩هـ.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، الأصفهاني (الراغب)، المطبعة الشرقية - مصر، ١٣٢٦هـ.
- من قضايا الأدب الجاهلي، د. محمد أبو الأنوار، مكتبة الشباب، دار وهدان للطباعة، (د.ت).

الضرورة الشعرية بين الحقيقة والافتعال م. د. حسين عبد حسين حمزة

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني (أبو الحسن حازم ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية - تونس، ١٩٦٦م.
- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ)، تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: د. نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.